مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص -أفريل2022 ص ص: 247-267
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

الزعامات القبلية في منطقة تيارت وفعاليتها مع الوجود العثماني

Tribal leaders in the Tiaret region and their effectiveness with the Ottoman presence

الحاج صادوق♦

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، sadokelhadj@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/10/28	تاريخ القبول: 2022/01/24	تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص باللغة العربية:

ان الحديث عن منطقة تيارت خلال الحقبة العثمانية لا يمكن فصلها عن نطاق محيط بايلك الغرب، وهو ذلك الإقليم الممتد من دار السلطان شرقا وبالتقريب عند نهر الشلف، حتى واد ملوية على الحدود المغربية في الغرب، ومن البحر المتوسط شمالا إلى مداخل الصحراء جنوبا"، أي على امتداد من الشرق إلى الغرب على مسافة ثمانين مرحلة، ومن الشمال إلى الجنوب بنحو خمسة وعشرين مرحلة حسب تقدير الرحالة الإنجليزي (شاو Shaw)، حيث مجال النفوذ السياسي والديني لمشيخة أولاد سيدي الشيخ، ويبدو أن العوامل التي سهلت استقرار السلطات التركية محليا كانت ذات طابع ديني، موظفة النسب الشريف والصالح والدعوة إلى الجهاد في الإيالة الغربية.

لقد وجد الأتراك العثمانيين في قبائل المخزن، خير معين لهم، فلكي يشدد الأتراك قبضتهم الأمنية على الأهالي في أرياف المنطقة الذين كانوا يشكلون معظم سكان تيارت لجأوا إلى الاستفادة من هذه القبائل والتي دخلت في خدمة البايلك، وأصبحت تشكل أداة عسكرية تدعم المحلة فاستمر هذا الأسلوب لدى الحكام فوظفوا القبائل الموالية لهم لخدمة أغراضهم. وهذا ما أحدث شرخ كبير في التركيبة الاجتماعية لسكان المنطقة، فإعطاء امتيازات لقبائل المخزن على حساب باقي التشكيلات الاجتماعية كقبائل الرعية والمرابطين وغيرهم، قد أوجد حالة من الاحتقان المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: تيارت؛ بايلك الغرب؛ الحكم العثماني؛ قبائل المخزن؛ التركيبة الاجتماعية.

Abstract: The conversation about the Tiaret region during the Ottoman era cannot be separated from the area around the west side

♦ المؤلف المرسل

Beylik. Which is the region that extends from Dar al-Sultan in the east, close to Chlef River and the Moulouya Valley on the Moroccan borders from the west, as well as the Mediterranean Sea in the north to the desert entrance to the south. Extending from east to west with a distance of eighty traveling stages, and from north to south by about twenty-five traveling stages. According to the estimation of the English traveler Shaw, where the political and religious sphere of influence of the chiefdom of Ouled Sidi al-Sheikh and it seems that the factors that facilitated the stability of the Turkish authorities locally were based on a religious character employing the honorable and righteous lineage and the call to jihad in the western province.

The Ottoman Turks found in the Makhzen tribes a certain good for them. In order for the Turks to tighten their security grip on the people in the countryside of the region who used to make up most of the population of Tiaret, they resorted to taking benefits of these tribes, which entered the service of the Beylik, and became a military tool that supports the locality, and this method continued to be used with the The rulers whom hired loyal tribes to them to serve their purposes. This caused a major rupture in the social structure of the population of the region. Giving privileges to the Makhzen tribes at the expense of the rest of the social formations, such as the Raiaa tribes, the Almoravids and others, has created a state of societal tension.

Keywords: Tiaret; baelik west; Ottoman administration; Makhzen Tribes; social structure.

مقدمة:

إن منطقة تيارت وكباقي مناطق الجزائر الأخرى مرت بمراحل تاريخية هامة ومتنوعة، وخاصة مرحلة الوجود العثماني في الجزائر، ففي خلال هده الفترة يستوجب منا إبراز أهم الأحداث المختلفة التي مرت بها المنطقة، والتعريف بمكوناتها القبلية وتركيبتها الاجتماعية المتنوعة، ومساهمات الزعامات القبلية والدينية فيها وكيف تفاعلت مع الوجود العثماني بها؟ على غرار ما قامت به الزعامات الأخرى في مناطق مختلفة من التراب الوطني، وللوصول الى هذه المعارف والحقائق التاريخية يتحتم على المهتمين بدراسة تاريخ المنطقة في الحقبة العثمانية بالعودة الى الأرشيف المتنوع المتعلق بهذه الفترة الزمنية، والذي يجب استغلاله أحسن استغلال، ويمكن الاستفادة منه في كتابة تاريخ

المنطقة خاصة والتاريخ الوطني عامة، لأنه كانت هناك مجموعة من الدراسات حول منطقة تيارت، لكن معظمها انصبت على المقاومة الشعبية للاستعمار الفرنسي بالمنطقة، مثل الدراسة التي قام بها بوعناني العربي والتي كانت تحت عنوان: " المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830-1908، وهي عبارة عن مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، بالإضافة الى دراسة قامت بها كاميلية دغموش، والتي كان عنوانها "قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، ودراسة أخرى لبختة وابل، "الاستيطان الفرنسي في منطقة تيارت 1840-1890"، دراسة قدمتها لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، ودراسة أخرى لنور الدين بودربالة، "العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792-1830م مقاربة اجتماعية وسياسية، عبارة عن أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

ان الجزائر في العهد العثماني أصبحت تمثل قاعدة عسكرية مهمة للدولة العثمانية وسيطرتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، الامر الذي حول هذا الحوض الى منطقة صراع ومواجهات عسكرية بين البحارة الأتراك والقوات الاسبانية التي كانت مدعمة من طرف الكنيسة الكاثوليكية، فتركز اهتمام حكامها الأوائل في الجهاد البحري الذي أكسبهم شرعية في نظر الاعيان وشيوخ القبائل والمرابطين، وعلى ولاء السكان، ومنهم أهل تيارت الذين استقبلوا العصور الحديثة بانضمامهم للحكم العثماني ابتداءً من 1519م الى غاية الغزو الفرنسي 1830م.

ان الحديث عن منطقة تيارت خلال الحقبة العثمانية لا يمكن فصلها عن نطاق محيط بايلك الغرب، الذي كان يمتد من الحدود المغربية إلى الحدود التي تفصله عن دار السلطان، وعن بايلك التيطري، ومن سواحل البحر المتوسط، إلى نواحي البيض، حيث مجال النفوذ السياسي والديني مشيخة أولاد سيدي الشيخ، ويبدو أن العوامل التي سهلت استقرار السلطات التركية محليا، كانت ذات طابع ديني، موظفة النسب الشريف والصالح والدعوة إلى الجهاد، في الإيالة الغربية في حين أن عماد النفوذ السياسي والإداري في الإيالة الشرقية، كان الشوكة والمال.

ووجد الأتراك العثمانيين في قبائل المخزن، والطرق الصوفية، خير معين لهم، فلكي يشدد الأتراك قبضتهم الأمنية على الأهالي في الأرياف الذين كانوا يشكلون معظم سكان منطقة تيارت لجؤوا إلى الاستفادة من هذه القبائل والتي دخلت في خدمة الأتراك، وأصبحت تشكل أداة عسكرية تدعم المحلة فاستمر هذا الأسلوب لدى الحكام فوظفوا القبائل الموالية لهم لإخماد التمرد وجمع الضرائب مقابل امتيازات تحظى بها خصوصا ما

تعلق بالأراضي والإعفاء من الضريبة فشكلت حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف، والحكام في المدن، وأصبحت تشكل القوة الضاربة بيد الحكام الأتراك في مد نفوذهم داخل البلاد.

1- علاقة الأتراك العثمانيين بالزعامات القبلية:

بعد أن ترسخت أقدام العثمانيين بالجزائر أخذوا، يتطلعون الى إحكام سيطرتهم واستئثارهم بخيرات البلاد[1]، فعملوا على إخضاع السكان وإجبارهم على طاعة الأقلية التركية، وإتباع سياسة فرق تسد، من خلال لجم القوة العسكرية للقبائل بواسطة إشعال نار الحرب بينها وبوسيلة اكتساب واحتضان البعض وكسر وتشريد البعض الآخر.[2]

وقد نجح العثمانيون منذ دخولهم إلى منطقة تيارت في تدعيم السلطة من خلال لجوئهم لأهل الصلاح والخير وأهل الطرقية والتصوف ويطلبون بركاتهم ويحمونهم كما يطلبون عونهم على الرعية.[3]

وبذلك وجد العثمانيون طريقة إدارية محكمة بالمنطقة وهي حكم الجزائريين بالجزائريين عن طريق التحالف مع بعض الزعامات المحلية القائمة على أساس قبلي أو ديني لأن أهم سلطة تخضع لها المنطقة خاصة في الريف هي سلطة المرابط[4]، والقائد أو الشيخ كما لعب المرابطون[5] دورا بارزا في حياة الناس إذ أنهم ملئوا الفراغ في المجتمع الذي ظل يعيش في عزلة عن الحكومة العثمانية.[6]

---

1 ناصرالدين سعيدوني، **دراسات أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص106.

2 خوجة، حمدان بن عثمان، **المرآة**، تقديم وتعليق وتحقيق: محمد العربي الزبيري، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2005، ص53.

3 فتيحة خروبي، "بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين1563-1792م"، **مجلة المرآة للدراسات المغاربية**، العدد الأول، جانفي2014، يصدرها مختبر الدراسات المغاربية والنخب وبناء الدولة الوطنية، جامعة وهران، ص190.

4 كاميلية دغموش، "قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)"، **رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث**، إشراف محمد دادة، السنة الجامعية 2013-2014، ص14.

5 المرابطون: هم أسرة أمازيغية حكمت المغرب، موريتانيا، غرب الجزائر والأندلس مابين أعوام 1056-1060 وحتى عام 1147. كان مقر الامبراطورية في فاس 1056-1086، ثم مراكش منذ 1086. ينظر:

لقد كانت زعامات القبائل النافذة في منطقة تيارت بمثابة الوسيط الإداري الذي اعتمدت عليه السلطة العثمانية في تسيير وإدارة شؤون المجتمع التيارتي، وذلك استنادا للرتب والوظائف التي تقلدتها الزعامات المحلية[7]، هذه الوظائف ظلت محتكرة بين أيدي عائلات نافذة (صلحاء/ أجواد)، تتوارثها عبر الزمن، وهي بمثابة مكتسب لا يمكن للجميع أن يمارسه.

1.1- علاقة الاتراك بزعماء القبائل الموالية:

كانت زعماء عائلات القبائل المخزنية والمرابطية بمنطقة تيارت وفي إطار تعاملهم مع الأتراك، بمثابة الجهاز الإداري والعسكري والاقتصادي الذي اعتمدت عليه السلطة العثمانية اعتمادا شبه مطلقًا لتسيير شؤون السكان المحليين أنذاك من استخلاص الضرائب وحفظ الأمن...، أما في الجانب الإداري؛ فقد وفرت العائلات المخزنية[8] للإدارة التركية الأعوان الإداريين والقياد والأغوات والفرسان، ويتجلى دورها الاقتصادي في استغلال أراضي المنطقة الخصبة والمساهمة في توفير الإنتاج الزراعي والحيواني.

أ- **علاقة الاتراك بقبيلة أولاد خليف:** من بين القبائل التي كان لها الولاء الكامل للأتراك، نجد قبيلة أولاد خليف[9]، الواقعة بمنطقة السوقر[10] التي تحالفت مع السلطة

Hrbek, I. and J. Devisse"The Almoravids", in M. Elfasi, éd, **General History of Africa**. Africa from the Seventh to the Eleventh Century, UNESCO. 1992 edition, Ch. 13, pp. 336–66

6 Walsin Esterharzy, Esterhazy (Louis-Joseph-Ferdinand Walsin), **De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Paris, Librairie de Charles Gosselin, 1840, pp 163-164

7 كمال فيلالي، "البايلك نظام حكم في الجزائر العثمانية"، **مجلة الهجرة والرحلة**، عدد خاص، افريل 2014م، مخبر الدراسات السوسيو تاريخية حول حركات الهجرة، جامعة قسنطينة، ص22.

8 قبائل المخزن: هي وظائف قبائل أعفاها الاتراك من دفع الضرائب وأطلقوا يدها كقوة ضاربة تضطهد وبحماية تركية القبائل الأخرى، القبائل الرعية، وكانت شوكة هذه القبائل تستعمل في عمليات جلب الضرائب عنوة وقهرا وتدميرا. وكثيرا ما كانت هذه القبائل تجند لقمع التمرد أو الثورة التي كانت تندلع من دون سابق إنذار ضد المؤسسات التركية وبخاصة وقت جمع الضرائب. ينظر: محمد الطيبي، **الجزائر عشية الغزو والاحتلال دراسة في الذهنيات والمألات**، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009، ص171.

9 قبائل أولاد خليف: أصل جدهم والمدعو خليف. خليف هو الفرع الذي تنحدر منه ذريته القاطنة بنواحي السوقر ويرجع أصل هذا الرجل إلى عائلة شريفة ذات سيادة وجاه ومال كانت تقطن جنوب

المركزية، وأصبح زعماء هذه القبيلة وسيلة من وسائل حماية الموارد المحلية للسلطة العثمانية حتى يتسنى لها الإفلات من دفع الضرائب وتكون سندا أخلاقيا وسياسيا لممارسة السيطرة على أوسع نطاق، ولإرساء علاقات القهر ضد الضعفاء[11]، ولا تتأخر عن استخدام القوة لكسر القبائل الضعيفة، وهو ما يعد استمرارية لذهنية السعي من أجل الغلبة والسيطرة على القبائل الممتنعة، حيث ازداد نفوذها وتأثيرها على مناطق الرعي التي كانت تقع تحت سلطتها[12]، وذلك لتأمين استمرارية تدفق الموارد المتحصل عليها من عملية دفع الضرائب، حيث كان شيخ قبيلة أولاد خليف[13] يفرض على القبائل الرعوية من شعانبة[14]، وسعيد عطية، والارباع[15] وأولاد يعقوب[16] مبلغًا من المال يُعرف برسم العسة. مقابل دخولها الأسواق[17] والاستفادة من المراعي كما اتخذت من الأماكن

فلسطين وبعد خلاف نشب بين الإخوة في من يخلف والدهم في سيادة القبيلة قرر خليف الهجرة حتى ينئى بنفسه من شر هذه الفتنة التي ألمت بهم فشد الرحال صوب المغرب الأوسط. ينظر: كاميلية دغموش، **المرجع السابق**، ص22.

10 E. Carette: **Origine et migration des principales tribus de l'Algérie.** Paris. Imprimerie impériale. Sans date. P 476.

11 الأغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا**، تحقيق يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص368.

12 محمد خير فارس، "الحياة السياسية والعلمية في الدولة العثمانية"، **مجلة الطريق**، العدد الرابع، 1995م، ص139.

13 أشراف قدموا الى المنطقة مع الفتح الإسلامي الثاني سنة 750هـ /1350م، قدر عددهم بـ 14400 نسمة خلال أربعينات القرن 19 م حسب ما أورده كاريت، عضو لجنة الجزائر العلمية وأمينها العام. ينظر: العربي بوعناني، "المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830-1908 ومواقف الزعامات القبلية والدينية من الاستعمار الفرنسي"، **رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر**، اشراف: أ.د /ودان بوغفالة، جامعة تلمسان، 2018-2019م، ص76.

14 ارزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، **أطروحة دكتوراه**، إشراف عمار بن خروف، السنة الجامعية 2005-2006م، ص15.

15 الارباع هم قبيلة عربية كبيرة تقطن مابين ولايتي الجلفة والاغواط وتصل في ترحالها الى مشارف السرسو وتيارت. وهي قبيلة تتركب من ارع بطون اساسية: أولاد زيد – أولاد صالح – الحجاج – المعامرة. ينظر: العربى بوعنانى، **المرجع السابق**، ص80.

16 من قبائل المغرب الشرقى، وتحدها شرقا قبيلة أولاد محمد و قبيلة أهل دبدو ، وشمالا قبيلة أولاد رحو، وغربا قبيلة بنى وراين، وجنوبا قبيلة أولاد الحاج، ويفصلها وادى ملوية فى حدودها الشمالية الغربية مع قبيلة بنى وراين، وترفع أصول قبيلة أولاد يعقوب إلى الأصل العربي. ينظر: محمد الطيبي، **المرجع السابق**، ص180.

17 ناصرالدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص107.

الاستراتيجية ذات المنافع الاقتصادية مواقعا لها، كما هو الحال بالنسبة للأسواق الأسبوعية والفصلية كسوق عين اللوحة بالقرب من تيارت ومنها يراقب مخزن أولاد خليف تحركات أولاد سيد الشيخ[18]، والتي يبدو أنها كانت تشكل خطرا على بايلك الغرب. ففي منتصف القرن الثامن عشر، زاد اهتمام حكام الأتراك بداخل البلاد، نتيجة شح الموارد وتناقص غنائم الجهاد البحري فتركت هذه المتغيرات أثار سلبية على أهالي منطقة تيارت حيث رفضت قبيلة بوزيري[19] القاطنة بفرندة، مطالب المخزن المتزايدة والتي أصبحت تشكل عبئا كبيرا عليها[20]، ودخلت في مواجهة عسكرية غير متكافئة مع الأتراك سنة 1740م انتهت بهزيمتها، مما اضطرها إلى الهجرة نحو الشرق، وحطت بخيامها على ضفاف وادي مينا على مسافة غير بعيدة عن تيارت.

إن لجوء الأتراك إلى سياسة المصاهرة مع الأسر المحلية النافذة، يعد في حد ذاته رهانا لكسب السكان، واستمرارية الحكم. ويبدو أن تخوف الأتراك من استئثار

18قبيلة أولاد سيدي الشيخ: هي قبيلة عربية استقرت بالشرق المغربي و الغرب الجزائري، كما تتداخل اراضيها من ناحية الشمال والغرب مع حلفائهم التاريخيين من قبائل الحميان (الشراقة والغرابة)، أما عن نسبهم فهم أولاد سيد الشيخ البوبكريون من نسل أبي بكر الصديق التيمون الأجاود نسبة لبنو تيم احدى بطون قريش اقاموا بداية بتونس. يعود تاريخ دخولهم للمغرب العربي إلى القرن الرابع عشر حيث دخل أسلافهم بقيادة سيدي معمر بن سليمان العالية مع القبائل الهلالية في الهجرة العربية الشهيرة للمغرب. ينظر: يحي بوعزيز: "اهتمامات الفرنسيين بالجزائر وجنوب الصحراء"، **مجلة الثقافة**، ع11، الشركة الوطنية، الجزائر ، 1980م، ص20

19أولاد بوزيري: قرية من قرى المغرب تقع بقرب من مدينة سطات تنتمي إلى جهة الشاوية بها تربة ذات خصوبة عالية من إنتاجها الحبوب والقطاني والبواكر والرمان تعرف تربية الأبقار والأغنام وتزخر المنطقة بسلالة الأغنام السردي الجيدة وذات المردودية العالية. كما تعتبر منطقة أولاد بوزيري من أبرز المناطق بمنطقة الشاوية من حيت العيون الجوفية الطبيعية وتعتبر أولاد بوزيري محط اولياء الله الصالحين. ينظر:

Guilbert j. Jumel g. M**éthodologie du terrain en science humaines et sociales**. A. Collin. Paris. 1997.P50

20 Aramburu Den-Joseph De, **Oran et L'ouest Algérien au18 Siècle**, Présentation et traduction de korso et Epalza, Alger. N.1978, p9

الزعامات المخزنية بالسلطة مثل تخوفهم من نفوذ المرابطين، بل وسعوا للتخلص من نفوذ هذه الزعامات عن طريق الإبعاد والقتل[21].

ب- علاقة الاتراك بالقبائل الموالية الأخرى:

إضافة الى قبيلة أولا خليف هناك قبائل رضيت بالوجود العثماني وتسمى بالرعية[22]، تقيم في الأرياف والدواوير وفي الأماكن الملائمة للزراعة، التي كانت تراقبها قبائل المخزن، هذه القبائل هي الأخرى كانت ملزمة بدفع الضرائب بكل أنواعها في شكل نقدي أوعيني، فعند خروج الأغوات والقياد الى الأرياف، على قبائل الرعية استضافتهم بكل ما لذ وطاب من المأكولات إضافة الى حرث أراضي البايلك وحصدها باتباع نظام الخماسة مقابل خمس الإنتاج، وهي منتشرة في مناطق متعددة بين فرندة وتيارت، وهي على عدة أشكال، منها رعية فليتة، وهي عبارة عن بطون وعشائر عديدة تتركز بين تيارت وغليزان وتظم 21 بطنًا أهمها: "سويد"، "أولاد رزين"، "أولاد بوعلي"، "العنترة"، "أولاد سيدي علي"، "عكرمة الغرابة والشراقة"، "الحساسنة"، تشرف عليها عائلة "سيدي العربي"[23]

لقد عمل الأتراك عشية دخولهم لمنطقة تيارت إلى كسب وتأييد الزعامات المحلية (صلحاء/زعامات قبلية)، واستمالتها في صفهم، فكان أن قامت هذه الزعامات بدور فعال في إرساء الحكم التركي بالمنطقة[24]، فقد شارك الصلحاء جنبا إلى جنب مع الأتراك في حملاﷺم العسكرية ضد القوى الصليبية المهاجمة، وتجدر الإشارة هنا إلى المساندة التي قدمتها العائلات المرابطية للأتراك بالغرب الجزائري قد سمحت باستمرارية العلاقة الودية بين الطرفين لفترة طويلة إلى حد ما[25]، من خلال دور العائلات المرابطية في الحث على الرباط، وقد بقي موقف هذه العائلات ثابتا أيام ثورات الطرق الصوفية،

---

21 توفيق دحماني، "النظام الضريبي ببائلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني"، **مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث**، إشراف عمر بن خروف، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص27.

22 M. Renaudot. **Tableaux du Royaume de la ville d'Alger et ses environs**. Librairie universelle de paris. Mongie Aine. Paris. 1830. P118.

23بختة وابل، "الاستيطان الفرنسي في منطقة تيارت 1840-1890"، **شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر**، جامعة وهران، 2012-2013م، ص14.

24 العربي بوعناني، **المرجع السابق**، ص60.

25 حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط1، 1429هـ / 2008م، ص17.

وكانت خير حليف للبايلك لإخماد ثورة درقاوة، فكان للمرابطين دورا بارزا في التوسط بين الأطراف المتنازعة.[26]

لقد اعتمد الأتراك على سياسة كسب ولاءات الزعامات الروحية، ومراقبة نشاطها ومحاولة تقليص نفوذها، وذلك بالمحافظة على علاقات مميزة مع العائلات المرابطية، من منح صلاحيات وامتيازات مغرية لإقامة روابط التبعية والولاء للبايلك، مما سمح بتحسين الوضع المادي للعائلات المرابطية وامتلاك عقارات بالمدن والأرياف، ومن هذه الامتيازات نذكر ما يلي:[27]

- منح المناصب السياسية لزعماء القبائل النافذة.

- إعفاء زعماء القبائل النافذة من أداء المغارم المخزنية.

- القيام بمهمة جباية الضرائب خاصة للعائلات المخزنية، فعلاقة الأتراك بالزعامات المحلية (مرابطية/ مخزنية) تتمثل في النظام الضريبي.[28]

ان هذه الامتيازات التي حصل عليها زعماء القبائل النافذة بالمنطقة أعطاهم وضع اجتماعي مميز، مما ساهم في تحول هذه الفيئة الى طبقة اجتماعية راقية، وهذا ما ساعدها فيما بعد على ممارسة السلطة الزمنية.[29]

لقد كان زعماء هذه القبائل الموالية للأتراك يتمتعون بوضع مادي مميز، متعدد المشارب، سواء عن طريق الهبات والأعطيات، أو عن طريق مناصب التولية؛ كتقلد وظائف القضاء والإفتاء، والتدريس، فكانت هذه المناصب مصدرا للتكسب والرزق الوفير.[30]

---

26 العربي بوعناني، **المرجع السابق**، ص63.

27 كمال بن صحراوي، "أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني"، **رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث**. 2014 -2015م. ص261

28 ناصرالدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص109.

29 العربي بوعناني، **المرجع السابق**، ص65.

30 شهرزاد رفاف، "القبيلة خلال العهد العثماني ديناميكية الخضوع والتمرد "نموذج قبائل الغرب الجزائري"، **مجلة المعيار**، المجلد 25، العدد 53، السنة 2021، ص975.

2.1- علاقة الاتراك بزعماء القبائل الممتنعة أو المستقلة: ان الشيء الملاحظ عن العلاقات بين هذه القبائل والسلطة العثمانية هي قضية الضرائب، فعند التزام الطرفين (القبائل والسلطة) ساد الأمن والاستقرار في البلاد، والعكس صحيح.[31]

استعملت الإدارة العثمانية في تيارت سياسة فرق تسد، لضرب أية مصلحة بين القبائل خاصة منها المتمردة والتي تشكل خطرا كبرا على التواجد العثماني بالمنطقة بما تمثله من قوة بشرية ومادية ليس في إمكان الأقلية العثمانية المبعثرة في أحناء المنطقة، كما استغل الأتراك القبائل لخدمة مصالحهم والحفاظ على وجودهم.[32]

وظهر هذا الأسلوب في إثارة الأحقاد والضغائن بين السكان، وتعميق الهوة بين صفوفهم بدفع طرف ضد الآخر مع إعطاء صلاحيات واسعة لشيوخ القبائل الموالية لها، إذ كان شيخها يفرض على القبائل الرعوية من شعانبة، وسعيد عطية، والارباع وأولاد يعقوب مبلغًا من المال يُعرف برسم العسة. فبفضل قوات المخزن تمكن النظام العثماني من حماية نفسه من القبائل الجبلية والصحراوية[33]، بل وبفضلها تمكن من الاستيلاء على أراضي خصبة واسعة، ونتج عن هذه السياسة العثمانية القائمة على مبدأ حماية النظام بقبيلة ضد قبيلة بقاء قبائل كثيرة معزولة في مناطق جبلية وصحراوية؛ وغير مقبلة بشكل واسع على فلاحة الأرض وهو الأمر الذي كان له انعكاس سلبي على المقاومة الشعبية في المنطقة بعد الاحتلال الفرنسي، وانعكاس إيجابي على التوسع الفرنسي بالمنطقة فيما بعد.[34]

لقد منح الأتراك الحرية الكاملة لزعماء القبائل الموالية لها في منطقة تيارت، حيث كانت لهم الحرية في دخول الأسواق والاستفادة من المراعي كما اتخذوا من الأماكن الاستراتيجية ذات المنافع الاقتصادية مواقعا لهم[35]، كما هو الحال بالنسبة للأسواق الأسبوعية والفصلية كسوق عين اللوحة بالقرب من تيارت و هذا ما جعل مخزن أولاد

---

31 بختة وابل، **المرجع السابق**، ص13.

32 سفيان صغيري، " العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830م"، **مذكرة ماجستير**، إشراف حسينة محاميد، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012، ص 118.

33 رقية شارف، "الواقع الاقتصادي للجزائر من خلال نماذج لمؤرخين جزائريين نهاية القرن 12ه /18م وبداية القرن 13ه /19م"، **مجلة العلوم الإنسانية**، العدد 41، جوان 2014، مجلد "ب "، ص58.

34 شهرزاد رفاف، **المرجع السابق**، ص976.

35 Bâche (E.L), **De la propriété arabe en Algérie avant 1830**, op.cit., pp699

خليف يراقب تحركات أولاد سيدي الشيخ، والتي يبدو أنها كانت تشكل خطرا على بايلك الغرب. ففي منتصف القرن الثامن عشر، زاد اهتمام حكام الأتراك بداخل البلاد، نتيجة شح الموارد وتناقص غنائم الجهاد البحري فتركت هذه المتغيرات أثار سلبية على أهالي منطقة تيارت حيث رفضت قبيلة بوزيري القاطنة بفرندة، مطالب المخزن المتزايدة والتي أصبحت تشكل عبئا كبيرا عليها[36]، ودخلت في مواجهة عسكرية غير متكافئة مع الأتراك سنة 1740م انتهت بهزيمتها، مما إضطرها إلى الهجرة نحو الشرق، وحطت بخيامها على ضفاف وادي مينا على مسافة غير بعيدة عن تيارت.

وبذلك يكون الأتراك قد انتقموا لهزيمتهم التي ألحقت بهم خلال القرن السادس، عندما أقدمت قبيلة بوزيري على توجيه ضربة قاسية لمجموعة من الفرسان الأتراك الذين حاولوا القضاء ليلة عندهم في وادي الحمام[37]. وفي ذات السياق وجدت قبائل الغوادي[38]، الواقعة غرب بلدية عين كرمس نفسها غير قادرة على الوقوف في وجه الآلة التركية، فأنظمت الى قبيلة الأحرار المشهورة بتمردها على الأتراك والتي وصفها صاحب الثغر الجماني بقوله: "... وكذلك الأحرار[39] الأعراب المعلومون الذين لا يؤدون خراجًا، التي رفضت الانصياع والخضوع ودخلت في مجابهة مستمرة دامت لوقت طويل، وظلت قبيلة الأحرار مستقلة تقريبا منذ القرن التاسع عشر، و بعد مرور ما يقرب من ثلاثة قرون، وما ميزها من علاقات توتر أدت إلى تعمق الأزمة بين المركز وأطرافه في كثير من الأحيان ولتشهد فصولا من إحتدام التناقض وتعمق الخلافات بين الأتراك والزعامات الدينية

36 صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، 2005، ص292.

37 بودربالة نور الدين، "العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792-1830م مقاربة اجتماعية وسياسية، **دكتوراه الطور الثالث في تاريخ الدولة العثمانية وغرب المتوسط (1492-1912)**، جامعة معسكر، السنة الجامعية: 2018-2019م، ص170.

38 الغوادي فبحكم قربهم من تاوغزوت انهم من شعب بنو يدللتن احد شعوب بنو توجين و لا ارى لهم غير ذلك. ينظر: يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص24.

39 الأحرار: وهي من أكبر الكونفدرالية القبلية التي استوطنت المنطقة منذ زمن قريب نسبيا، فهي تتشكل أساسا من قبائل بدوية تعتمد على تربية الحيوانات وممارسة الزراعة، وتتخذ من سهل السرسو والمناطق السهبية الواقعة جنوب تيارت موطنا لها. لقد وصفهم الأغا المزاري في كتابه طلوع سعد السعود فقال: "الأحرار الأقشار لا يلادهم ملاد في الكفاح والجد والأسعار نصرتهم كاملة، ونعرتهم للخير شاملة. ينظر: الأغا المزاري بن عودة: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا**، تحقيق يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 1229، ص-ص115-116. وكذلك: العربي بوعناني، **المرجع السابق**، ص79.

والقبلية، التي أخذت تطفو إلى السطح وتلقي بضلالها على مستقبل العلاقات بين الجانبين، فبدأت تظهر بوادر الطلاق بينهما مع بداية القرن التاسع عشر، ويمكن أن نلمس ذلك في تراجع هيبة الأتراك التي يبدو أنها تزامنت مع إنتهاء الوجود الإسباني، وعودة وهران نهائيًا الى يد المسلمين، وتراجع أعمال القرصنة وما كانت تدره من أموال تعود بالنفع على صاحب السلطة، والسبب يكمن في تفوق البحرية الأوربية فحصل تكافؤ بين الطرفين وأصبحت المفاوضات بين الأتراك والدول الأخرى، تدور حول تبادل الأسرى أكثر مما تدور حول الاقتداء.

بعد اختلال التوازن بين الدول الأوروبية والأتراك على الشريط الساحلي وتراجع أعمال القرصنة لجأوا الى التوجه نحو الداخل لعلهم يجدون ما يعوض مداخل القرصنة، ، وهنا لا يجب الخلط بين الضرائب كأداة جباية يرتكز تحصيلها على بعض المبادئ الشرعية، أو تؤخذ بدعوة الحماية أو مقابل خدمات أخرى[40]، أما الغضب لا يشرعه عرف أو شرع ولا يخضع لمبدأ التفاوض والاتفاق، وهذا النوع من الغضب مارسته الحاميات العسكرية، وقبائل المخزن أثناء قيامها بحملات تأديبية لإخضاع القبائل الممتنعة أو تحت ذريعة فرض الطاعة، وهذا ما حدث بالضبط لقبيلة الأحرار التي تعرضت لهجوم مباغت يوم 17جويلية 1828 ويصف لنا الأغا المزاري في كتابه طلوع سعد السعود فيقول :... "فإننا غزونا على قبيل الأحرار الغرابة بعد المراصدة وتخلف العيون لما هم عليه من عدم الغفلة وكثرة الظنون وقد ركبنا إليهم في المحلة المنصورة من بلاد بني عامر وسرنا نحوهم سيرا عنيفا... وهم غفلة فأحطنا بهم إحاطة الهالة بالقمر، والخاتم بالخنصر وجمعنا مالهم جمعا، وحزناه وترا وشفعا، فشفا منهم العليل، وبرد الغليل قد ظفرنا الله بهم فأخذناهم أخذة رابية، بغزوة شافية كافية، وذلك ببلاد اليعقوبية ورجعنا نحن والعسكر بالسعية والمخزن بخير و على خير فالحمد لله على الغنيمة والسلامة والكل من فضل الله..."[41]

بعد أن أقدم الأتراك على منح الامتيازات والتسهيلات التجارية للأجانب من أوربيين ويهود وتهميش العنصر المحلي الذي ليس له من نصيب سوى البؤس والحرمان، وهذا ما أبعد قبائل الرعية عن الحكام وجعلها لن تتردد في رفع راية العصيان والتمرد، لخلع رداء الذل والشقاء فاعرضوا لأبشع انتقام من حلفاء الأمس، مما جعل الكثير من رجال الزوايا وزعماء القبائل يتجهون نحو مقاطعة الحكام، خاصة أن العلاقة بين رجال

40 نور الدين بودربالة، **المرجع السابق**، ص172.

41 كمال بن صحراوي، **المرجع السابق**، 162.

الدين والأتراك أخذت تتجه نحو الافتراق منذ أواخر القرن السابع عشر عندما بسط الحكام سلطتهم على السكان بطريقة مباشرة، وإبعاد رجال الدين عن المشاركة في الحكم، وتم إلزامهم بدفع الضرائب التي كانوا في وقت قريب هم الذين يستفيدون من جزء منها، فأدى ذلك إلى التوتر في العلاقات بين الطرفين وبداية حتمية الصراع الذي ترجمته الزوايا الدينية في انتفاضات شعبية لقيت استجابة من الأهالي الذين ذاقوا ذرعا من تصرفات البايلك التعسفية.

2- ثورة درقاوة في بايلك الغرب الجزائري:

في أواخر حكمهم في للجزائر اتجه الحكام الأتراك الى تطبيق سياسة غير وجيهة أنبتت الحقد والضغينة وحب الانتقام في صدور الأهالي وأصحاب الطرق الصوفية، تمثلت في السياسة الضريبية المجحفة والتي كان يفرضها الحكام على الأهالي، وفي الوقت ضعف فيه الأسطول البحري ونصبت موارده ودب التدهور الاقتصادي في كامل أنحاء البلاد بل وقد حدد الحكام لذلك الغرض حملات عسكرية مخزنية لقمع الممتنعين عن أداء الضرائب ولذلك قلت ثقة الأهالي في الحكام و المسؤولين الذين أهملوا مصالح البلاد وأفقروا العباد وانصب اهتمامهم بالسلطة[42]، فأحس الأهالي أن مجهوداتهم موجهة لخدمة الطبقة الحاكمة دون التمتع بأي حقوق فتوجهوا بشكواهم إلى رجال الطرق الصوفية نظرا لما كانوا يتمتعوا به من نفوذ روحي في المجتمع الجزائري التي كانوا يتمتعون بها على رأسها الوساطة بين الأهالي والحكام في جباية الضرائب بالإضافة إلى الاستفادة من الأرباح التي كان يدرها الجهاد البحري، والهدايا الاعتبارية في المواسم الدينية، ففضلوا الوقوف إلى جانب أهالي الريف ولذلك برزت سلسلة من الثروات في مطلع القرن التاسع عشر كرد فعل على سياسة الحكام الجائرة وأمام ذلك لم يستطيع رجال الزوايا والطرق الصوفية أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الشكاوي المقدمة من الأهالي من جراء السياسة التعسفية، وباعتبار أن مصالح رجال الدين أيضا تضررت وضاعت امتيازاتهم.[43]

ومن أهم الثورات نذكر على سبيل المثال ثورة درقاوة في بايلك الغرب التي قادها ابن الشريف وهو عبد القادر بن الشريف، ويعرف بابن الشريف الدرقاوي نسبة إلى

---

42 الزياني بن يوسف، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1949م، ص208.

43 إبراهيم عبو، "الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها، **مجلة متون** العلوم الاجتماعية، المجلد: الثامن، العدد الثالث، ديسمبر 2016م، ص203.

الطريقة الدرقاوية التي كان ينتمي إليها،[44] أما أصله فقد أكدت أغلب المصادر على أنه من قبيلة وادي العبد بالغرب الجزائري، فقال عنه الزياني: "أنه عبد القادر بن الشريف من أولاد سيدي بليل السكاني قاطن وادي العبد".[45]

والظاهر أن ابن الشريف أخذ عن شيخه مولاي العربي العلم والزهد في الدنيا، قال عنه أبو عبد الله محمد العربي:" كان رضي الله عنه عالما زاهدا كثير القيام والصيام والصدقة، مجاهدا في سبيل الله ومن ذرية مولانا إدريس رضي الله عنهم، وقد كان الشيخ في شبابه تحير في أمر نفسه[46]، فأراه الله ذلك عيانا وكشف له عن نور، كالنور الذي تسميه العامة عروس المطر.

بدأ ابن الشريف الدرقاوي نشاطه الديني والدعوي بزاوية أولاد بليل بضواحي فرندة لتفقيه الناس وتعليم الصبية. وكغيره من العلماء ورجال الصوفية،[47] أظهر ابن الشريف الزهد والصالح، وأبدى التقوى ولقن تعاليم وأوراد الطريقة الدرقاوية للاتباع، وأظهر الكرامات حتى تتبعه العامة من الناس، فصدقه الناس وكثر أتباعه من القبائل الذين قاموا بنصرته بما كان يظهر لهم من شعوذة ويعدهم بنصر قريب، مما ساعد للاستعداد للحرب المقدسة ضد الأتراك.[48]

بدأ ابن الشريف في جمع الأنصار عندما راح يجول البلاد وينشر تعاليمه بين السكان المحليين والتي وجدت "صدى واسعا وخاصة بين سكان الصحراء الذين كانوا يقدمون له الهدايا" وكانوا يشكون له الظلم من جراء الضرائب المتزايدة عليهم، وهو بدور ينقل إلى شيخه ما كان يلقاه السكان من ظلم وجشع الحكام العثمانيين.[49]

---

44 ابن سحنون، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تقديم وتحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي، منشورات التعليم الإسلامي الأصيل، ص201.

45 الزياني بن يوسف، **المصدر السابق**، 210.

46 أبو عبد الله محمد العربي الدرقاوي، بشور الهدية في مذهب الصوفية-المعروف برسائل مولاي العربي الدرقاوي- المكتبة المصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004، ص9.

47 الزياني، **المصدر السابق**، ص 208.

48 André Delpech, « **résume historique sur le soulèvement des Derkaoua dans la province d'Oran »,** R. A18.1874. p.38.2

49 مسلم بن عبد القادر، **تاريخ بايات وهران المتأخر، أو خاتم أنبس الغريب والمسافر**، تقديم وتحقيق رابح بونار، المكتبة. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص53.

لقد اتخذت حركة ابن الشريف الدرقاوي طابع انتفاضة شعبية محلية لقيت تأييدا كبيرا من قبل قبيلة الأحرار بتيارت، والتي ظلت تتحين الفرص للانقضاض على الأتراك الذين أخضعوهم بالقوة واستخدموا ضدهم العنف والقسوة لإجبارهم على دفع الضرائب حتى في سنوات العجاف، والتي كان معظمها يذهب إلى جيوب الحكام وفرسان المخزن، ولذلك وجدوا في الطرق الصوفية، خير نصير لهم، التي تبنت آلام وآمال الرعية وتحملت على عاتقها مسؤولية الدفاع عنهم بإنتهاجها أسلوب العنف كوسيلة لتخليص السكان من مظالم الأتراك.[50] واتجهت جموع القبائل بزعامة ابن الشريف، بما فيهم القبائل الممتنعة أو المستقلة بمنطقة تيارت، التي كانت بين شد وجذب مع العثمانيين مع العلم أنّ المنطقة كانت تابعة لبايلك الغرب وكانت مرة من الرعية وتارة للمخزن ويكمن سوء التفاهم حول الجباية والمغارم التي كان ترى فيها هذه القبائل إجحافا في حقها ولعل أبرز حدث هو مشاركة هذه القبائل في ثورة درقاوة واندلاع حروب في منطقة فليتة لملاقاة جيوش الباي مصطفى العجمي فالتقى الجمعان بفرطاسة (وادي الأبطال حاليًا) بين وادي مينا ووادي العبد، واشتد القتال بينهما وهزم فيها الباي ولم ينج بأفراده متسللا على حين غفلة ممتطيًا جواده من دون سرج قاصدا معسكر إلا بشق الأنفس.

وسقطت معسكر في يد ابن الشريف وأتباعه، فأمسى الباي بمخزنه في نكد، وأصبح الدرقاوي بأتباعه في رغد وقد مات في هذه المعركة عدد كبير منهم كاتبا الباي "الحاج أحمد بن هطال التلمساني" و"أبوعبد الله محمد الغزلاوي"، ثم واصل بن الشريف زحفه ناحية وهران، وضرب عليها طوقا من الحصار، وكادت وهران أن تسقط في يد الثوار، لولا استمالة الباي للأعيان وقوات المخزن ببذل الأموال الطائلة لهم. ولم ينته أمر الدرقاوي الذي أخذ يبحث فيما يبدو عن أنصار جدد يدعم بهم صفوفه، ويواصل الاشتباك مع الأتراك، فلجأ مع ما بقي من قواته إلى مدغوسة من بلاد خلافة، فخرج له الباي بجيوشه فانهزم الدرقاوي وقتل المخزن من أتباعه خلقا كثيرً.[51]

وفي عهد الباي علي خرج ابن الشريف الدرقاوي من بني يزناسن ونزل الأحرار، على أمل تجميع قواته من جديد ومواصلة أعماله العسكرية ضد بايات وهران، فوصل الخبر إلى الباي الذي سير محلة الغرب بمينا وأمر جميع قبائل القبلة بالوقوف معه ورافقوه إلى

50المزاري بن عودة، **المصدر السابق**، ص306.
51 الزياني، **المصدر السابق**، ص 209.

أن نزل بلاد الأحرار فأفسد زرعهم ونكل بهم[52]، فإفترقت جموع من ناصروا ابن الشريف الدرقاوي، وجاءت شيوخ الأحرار بأجمعها تلتمس منه العفو فعفى عنهم و أكرم نزولهم.

ولقد أنهكت الثورات الداخلية إيالة الجزائر، ودفعت الفتن التي تسببت فيها مظالم السلطة الحاكمة أنداك إلى انكماش السكان على أنفسهم، والابتعاد عن التعامل مع السلطة المركزية وتحول أغلب السكان المؤطرين بشيوخ الزوايا إلى موقف عدائي من إدارة البايلك والمتعاملين معها.[53]

3- الزعامات القبلية في تيارت وفاعليتها مع الوجود العثماني:

لم ينزل المجتمع الجزائري العظيم من السماء بل هو منحوتة جميلة نحت أركانها وتفاصيلها الإسلام وحب الوطن المغروس في المساجد والكتاتيب والمدارس وزين تلك المنحوتة موروث تجربة اجتماعية متراكمة للشعب الجزائري، فالجزائر كانت موجودة منذ القديم، ودافع عنها وطنيون من أمثال ماسينيسا ويوغرطة ضد الاحتلال الروماني، في وقت لم تبرز فيه فرنسا كدولة مكتملة الأركان الا في بداية العصور الحديثة.[54]

أن منطقة تيارت التي كانت تابعة لبايلك بحكم موقعها المتوسط الفاصل بين الشرق والغرب، جعلها تقف عائقا في وجه تقدم الأجانب، فشكلت بذلك مقاومة عنيفة ضد كل حركة توسعية تشتم فيها رائحة الغدر والعدوان، كما ظلت تمثل سدا منيعا في وجه تمدد الاستعمار القديم، الذي أنشأ على حوافها خطوط دفاعية لمواجه هجمات القبائل البدوية التي ظلت تهدد الاستعمار الروماني بالمنطقة.

ان التركيبة السكانية لمنطقة تيارت خلال العهد العثماني كانت تتكون من ثلاثة قبائل: المخزنية، قبائل الرعية، والقبائل الممتنعة أو المستقلة عن السلطة العثمانية، فعن القبائل المخزنية، هي مجموعة أفراد تتواجد في المناطق التلية[55]، وكان على رأس كل قبيلة شيخ وقائد أغا وخليفة، وهناك قبائل رضيت بالوجود العثماني تسمى بالرعية

---

52 أبو رأس، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تحقيق محمد بن عند الكريم، الجزائر، 1996، ص57.

53 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1 ،1500 -1830، عالم المعرفة الجزائر، طبعة خاصة، 2011م، ص125.

54 أرزقي شويتام، **المرجع السابق**، ص154.

55 G. Camps: « Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara ». **Doin**. Paris, 1974. P1

والتي تتألف من مجموعات سكانية الخاضعة مباشرة والمقيمة بالدواوير والتي كانت تراقبها قبائل المخزن، وكانت معظم قبائل الرعية تقيم في المناطق التي كانت تحت نفوذ الإدارة المتمثلة في قبائل المخزن والقبائل المتعاونة معها والحاميات العسكرية الرابطة بين الأبراج ومدن البايلك، ومن خلال مجموعة من الوسائل التي لجأ اليها الحكام العثمانيين تمكنوا من ضمان ولاء قبائل الرعية، القبائل المستقلة والتي تتكون من القبائل القاطنة في المناطق الجبلية والصحراوية وقد سمح لها موقعها الجغرافي أن تعيش شبه مستقلة عن السلطة الحاكمة والتي شقت عصا الطاعة وثارت ضدهم، خاصة في أواخر سنوات حكمهم.[56]

ان القبائل التي تكون المجتمع التيارتي كانت تمتاز بشديدة الميراس، وقفت بكل حزم ضد كل دخيل أجنبي أراد أن يفرض سيطرته على المنطقة، لكنها كانت وفية لأنظمة الحكم التي جاءت لكي تستنجد بها[57]، فتعاونت معها واحتضنتها وقربتها. كما هو الحال بالنسبة للرستميين، الموحدين، الزيانيين، والعثمانيين الذين قدموا إلى المنطقة لمساعدة سكانها ضد الهجمات الإسبانية، قد تحولوا مع مرور الوقت إلى قوة قمعية، مما يدل على الإفلاس النهائي للنظام السياسي التركي، فانكشفت العلاقة بين القيادات القبلية والسيادات الطرقية قد تمخض عنه عمليا إنهيار فعلي لذلك التحالف الذي أملته روابط الأخوة في الدين الذي استمر أكثر من ثلاثة قرون ونصف.

بعد ان ساءت العلاقة بين الطرفين تحول حليف الأمس إلى مستبد، فحدث الطلاق بينهما فأصبحت المجابهة خيارا لا مفر منه، الذي نشأ عنه ضعف الدولة وتلاشي قوتها، لا شك أن مواجهة الفتن وإخماد حركات العصيان والتمرد قد استنزفت طاقة الجميع، وعرقلة مشاريع الإصلاح التي باشرها حسين باشا، الذي كان منشغلا بإعادة الأمن إلى ربوع الوطن، وسيطرة الوكلاء الأوربيون واليهود على تجارة الجزائر الخارجية، وانكفاء سكان المدن على أنفسهم، في حين ظل أهل البادية يعيشون في عزلة تامة. فأصبحت إيالة الجزائر تسير باتجاه السقوط الحتمي، لم تكن تيارت في الغرب الجزائري إذًا بمنأى عن التحولات الخطيرة التي عرفتها المنطقة في إطار تحرك الآلة الاستعمارية، ولعل ما حدث بعد 1830م مباشرة يدل على المسؤولية العظمى التي تكفّل سكان المنطقة

56 De Bayle. RD. H. R: « Les Gravures rupestres de l'oued Séfalou, région de Tiaret ». **In Libyca**. T. 3. 1955. PP327- 342

57 محمد مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج1، مكتبة النهضة، الجزائر، 2004م، ص254.

بما فيها القبائل والزعامات الدينية بحملها من خلال المشاركة في مقاومة الأمير عبد القادر والتصدي للتوسع الاستعماري الفرنسي، متحملين أعباء ترك الأرض والانتقال من جهة إلى أخرى.

الخاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية يتبين لنا جليا أن السلطة العثمانية لعبت دورا مميزا في اثارة بذور الفرقة والتناحر بين القبائل وغذت روح الصراعات بين الأفراد، فهي من يستولي على أجود الاراضي وتعطيها لمن يخدم مصالحها، وتطرد من تشاء من القبائل، وهي من ساهم في تبلور الفكر الاقطاعي بخلق عائلات أرستقراطية تستحوذ على النفوذ الروحي والمادي، ومن خلال ذلك نخرج بالاستنتاجات التالية:

*- ان الوجود العثماني بالجزائر لم يرق إلى مستوى تطلعات السكان، وشهدت الفترة الأخيرة منه تردي الأوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، وانشغل الولاة بمصالحهم الشخصية، فأصبحت الظروف مهيئة لمواجهة هذا الضيف الثقيل عن طريق التمرد والثورات مما أدخل البلاد في الفوضى والاضطرابات، سمحت للعدو الفرنسي بغزو الجزائر.

*- أن العثمانيين جعلوا السلطة الفعلية في الأرياف في أيدي القوى المحلية حيث حافظوا على النظم التقليدية للقبائل من حيث التسيير والتنظيم وجمع الضرائب، وكان هذا في نظر هؤلاء الشيوخ نوعا من الامتياز تمنحهم إياه السلطة العثمانية، لكن ذلك مثّل في نظر هذه السلطة استراتيجية فعالة انتهجتها للإبقاء على وجودها.

*- لقد انعكست هذه الظروف بشكل عام على الحياة العامة في المنطقة سواء الحياة الاجتماعية أو الحياة الاقتصادية، أو ما عرفه بايلك الغرب من تحولات سياسية كبرى، انعكست بالضرورة على سكان الريف من حيث كثرة المجاعات والقحط وقلة الأمن وكثرة الثورات وتسلط مجموعات موالية للسلطة على بقية الرعية.

*- لقد عرف بايلك حركية سكانية واسعة ميزتها الانقسامات التي صنعتها السياسة. حيث صارت القبائل في الريف منقسمة إلى مخزن ورعية ومتحالفين مع النظام هم أقرب إلى المخزن، وقبائل أخرى امتنعت عن دفع الضريبة لكنها دفعت ضريبة من نوع آخر بهجر أراضيها واللجوء إلى الأراضي الجبلية وهوامش الصحراء.

*- صارت قبائل بايلك الغرب بما فيها منطقة تيارت خلال هذه المدة الطويلة مجبرة على النزوح من أراضيها إلى أراضي غيرها، وكثيرا ما اشتد الصراع بينها، وهو ما استغلته السلطة فقربت بعضها وسمته قبائل المخزن لتضغط به على مجموع سكان الريف المعروفين بالرعية، وهم الذين وقعت عليهم أعباء دفع الضريبة وخدمة البايلك. وحتى تتفادى خروج بعض هذه القبائل عن طوعها وتضمن مزيدا من الهدوء عمدت إلى استخدام الشخصيات المرابطية البارزة والقبائل ذات النفوذ الديني.

قائمة المراجع:

- باللغة العربية:

1- الأغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا**، تحقيق يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

2- ابن سحنون، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تقديم وتحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي، منشورات التعليم الإسلامي الأصيل.

3- أبو عبد الله محمد العربي الدرقاوي، **بشور الهدية في مذهب الصوفية-المعروف برسائل مولاي العربي الدرقاوي**- المكتبة المصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004.

4- أبو رأس الناصري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تحقيق محمد بن عند الكريم، الجزائر، 1996م.

5- بن عثمان حمدان خوجة، **المرآة**، تقديم وتعليق وتحقيق: محمد العربي الزبيري، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2005م.

6- بوعزيز يحي، اهتمامات الفرنسيين بالجزائر وجنوب الصحراء، مجلة الثقافة، العدد 11، الشركة الوطنية، الجزائر، 1980م.

7- بوعناني العربي، "المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830-1908 ومواقف الزعامات القبلية والدينية من الاستعمار الفرنسي"، **رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر**، اشراف: أ.د /ودان بوغفالة، جامعة تلمسان، 2018-2019م.

8- بن صحراوي كمال، "أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني"، **رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث**. 2014 -2015م.

9- بودربالة نور الدين، "العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792-1830م مقاربة اجتماعية وسياسية، **أطروحة الدكتوراه الطور الثالث في تاريخ الدولة العثمانية وغرب المتوسط (1492-1912)**، جامعة معسكر، السنة الجامعية: 2018-2019م.

10- ا بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1949م.

11- خروبي فتيحة، "بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين1563-1792م"، **مجلة المرآة للدراسات المغاربية**، العدد الأول، جانفي2014، يصدرها مختبر الدراسات المغاربية والنخب وبناء الدولة الوطنية، جامعة وهران.

12- خير فارس محمد، "الحياة السياسية والعلمية في الدولة العثمانية"، **مجلة الطريق**، العدد الرابع، 1995م.

13- دحماني توفيق، "النظام الضريبي ببائلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني"، **مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث**، إشراف عمر بن خروف، جامعة الجزائر، 2003-..2004

14- دغموش كاميلية، "قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)"، **رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث**، إشراف محمد دادة، السنة الجامعية 2013-2014.

15- رفاف شهرزاد، "القبيلة خلال العهد العثماني ديناميكية الخضوع والتمرد "نموذج قبائل الغرب الجزائري"، **مجلة المعيار**، المجلد 25، العدد 53، السنة 2021م.

16- سعيدوني ناصرالدين، **دراسات أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

17- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1 ، 1500 -1830، عالم المعرفة الجزائر، طبعة خاصة، 2011م.

18- شارف رقية، "الواقع الاقتصادي للجزائر من خلال نماذج لمؤرخين جزائريين نهاية القرن 12ه /18م وبداية القرن 13ه /19م"، **مجلة العلوم الإنسانية**، العدد 41، جوان 2014

19- شويتام أرزقي، "المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م"، **أطروحة دكتوراه**، إشراف عمار بن خروف، السنة الجامعية 2005-2006م.

20- صغيري سفيان، " العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830م"، **مذكرة ماجستير**، إشراف حسينة محاميد، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-.2012

21- طيبي محمد، **الجزائر عشية الغزو والإحتلال دراسة في الذهنيات والمآلات**، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009م.

22- عباد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، 2005

23- عبو ابراهيم، "الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها، **مجلة متون العلوم الاجتماعية**، المجلد: الثامن، العدد الثالث، ديسمبر 2016م.

24- فيلالي كمال، "البايلك نظام حكم في الجزائر العثمانية"، **مجلة الهجرة والرحلة**، عدد خاص، افريل 2014م، مخبر الدراسات السوسيو تاريخية حول حركات الهجرة، جامعة قسنطينة

25- مسلم بن عبد القادر، **تاريخ بايات وهران المتأخر، أو خاتم أنبس الغريب والمسافر**، تقديم وتحقيق رابح بونار، المكتبة. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م

26- مبارك محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج1، مكتبة النهضة، الجزائر، 2004م،

27- هلايلي حنيفي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط1 ، 1429ه / 2008م

28- وابل بختة، "الاستيطان الفرنسي في منطقة تيارت 1840-1890"، **شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر**، جامعة وهران، 2012-2013م

- باللغة الفرنسية:

29- André Delpech, « **résume historique sur le soulèvement des Derkaoua dans la province d'Oran** », R. A18.1874.

Aramburu Den-Joseph De**, Oran et L'ouest Algérien au18 Siècle,** Présentation et traduction de korso et Epalza, Alger. N.1978,

30- Bâche (E.L), **De la propriété arabe en Algérie avant 1830**, op.cit

31- E. Carette**: Origine et migration des principales tribus de L'Algérie.** Paris. Imprimerie impériale. Sans date.

32- Walsin Esterharzy, Esterhazy (Louis-Joseph-Ferdinand Walsin), **De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Paris, Librairie de Charles Gosselin, 1840,

33- G. Camps: « Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara ». **Doin**. Paris, 1974.

34- Guilbert j. Jumel g. M**éthodologie du terrain en science humaines et sociales**. A. Collin. Paris. 1997.

35- Hrbek, I. and J. Devisse"The Almoravids", in M. **Elfasi,** éd, General History of Africa. Africa from the Seventh to the Eleventh Century, UNESCO. 1992 edition, Ch. 13.

36- M. Renaudot. **Tableaux du Royaume de la ville d'Alger et ses environs**. Librairie universelle de paris. Mongie Aine. Paris. 1830.